إختزاله داخل الحدث الدرامي مشكلة إنتاجية

«رمضان» في السينما حالة طقسية!

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من كمال القاضي:

اقتربت السينما من المناسبات الدينية والقومية اقترابا دراميا مشوبا بالحذر ترجع أسبابه إلى طبيعة السوق ومعضلات التوزيع، فليس لأفلام المناسبات تأثير الأفلام الاجتماعية والرومانسية، وعلى هذا فقد لجأ المنتجون إلى صياغة المناسبة المعينة في العمل الدرامي داخل إطار، وفي الأغلب كان الاطار الاجتماعي هو الأنسب لاستيعاب الحدث الديني أو القومي أو الإنساني، فهناك على سبيل المثال أفلام تخللتها رؤى دينية متصلة بالحج كفريضة دينية أو المولد النبوي أو هجرة الرسول «صلى الله عليه وسلم» من مكة إلى المدينة كذكرى مهمة يحتفل بها العالم الإسلامي ويقدسها، وكذلك أبرزت الدراما السينمائية طقوس العيدين الرسميين «عيد الفطر وعيد الأضحى» في كثير من الأفلام سواء ما انتج منها قديما أو حديثا، ولكن جميعها أوردت المناسبة بشكل ضمني في اطار حدث رئيسي، ولعل الفيلم الأبرز في هذا الصدد هو «حياة أو موت» للمخرج كمال الشيخ الذي جرت أحداثه كلها يوم وقفة عرفات، بينما اعتنت القصة الأساسية بمسيرة الطفلة التي ذهبت لشراء الدواء لوالدها المريض «عماد حمدي»، واكتشف الصيدلي حسين رياض انه أخطأ في تركيب الدواء بإضافة مادة سامة فأصبح الصراع قائماً على فكرة السباق مع الزمن وملاحقة الطفلة قبل أن تصل بالدواء المسموم إلى والدها المريض، هذه الثيمة أصبحت الى الآن تمثل قمة الإثارة من بين أفلام كمال الشيخ، حيث تخلدت الجملة المأثورة «لا تشرب الدواء – الدواء فيه سم قاتل» في تاريخ السينما ولاكتها ألسنة الجماهير حتى باتت الجملة أشهر من الفيلم ذاته، وعلى نفس القياس احتل شهر رمضان الكريم مساحة واسعة على شاشة السينما كإشارة زمنية لتوقيت الأحداث في كثير من الأفلام، حتى وإن جاء النص السينمائي مختلفا للطقس الرمضاني من الناحية الموضوعية، ولعل الفيلم الأهم في المقارنة بين ماهو قريب دراميا من رمضان وغيره في «في بيتنا رجل» الذي قام ببطولته عمر الشريف وزبيدة ثروت وحسن يوسف وأخرجه بركات، حيث ارتبط مشهد هروب المناضل إبراهيم حمدي من البوليس السياسي بفراغ الشارع من المارة لحظة انطلاق مدفع الافطار لتتسنى له الفرصة كاملة لتنفيذ عمليته البطولية في سرية تامة والوصول الى بقية أعضاء التنظيم في جو من الأمان، وكما أوضحنا سلفا لم يكن شهر رمضان هو المحور الرئيسي ولكنه كان غطاء للأحداث أو بمعنى آخر لزوم ما يلزم في السياق، وتبدو تلك الفرضية قانونا حتميا في حوالي 06 % من الأفلام التي جرت وقائعها في رمضان، ففي فيلم «من أجل أبنائي» تضمنت الأحداث طقسا رمضانيا تماما تم التعبير عنه من خلال «اسكتش» قامت به الطفلة المعجزة بسيمة أدت فيه أغنية «اصحى يانايم صحي النوم ده إحنا بقينا في شهر الصوم» أثناء عملها بإحدى الفرق الاستعراضية كنوع من التمهيد للقاء التراجيدي بينها وبين أبوها المسجون منذ عشر سنوات «زكي رستم» الذي تصورت الطفلة انه توفي طبقا لرواية الأم «أمينة رزق» التي ظلت تخفي حقيقة زوجها عن أبنائه حفاظا على سمعتهم، وباستثناء استعراض الفوانيس و«الاسكتش» الشهير لم يكن للفيلم علاقة بشهر رمضان من قريب أو بعيد، الأمر الذي يعكس نظرية الإشارة الزمنية الدالة على توقيت الأحداث والتي تحققت في عشرات الأفلام القديمة والحديثة بما فيها الأفلام الحربية التي عنيت بتجسيد حرب العاشر من رمضان ـ السادس من أكتوبر مثل «العمر لحظة والرصاصة لا تزال في جيبي وبدور» وغيرها من دراما البطولات العسكرية التي تناولت انتصار 73 ووثقت حرب اكتوبر بغض النظر عن تفاوت مستوياتها الفنية والتقنية وتأثير نجومها وقدرتهم على اقناع المشاهد بواقعية الحدث، وإن برز بينها فيلم «العمر لحظة» للمخرج محمد راضي وبطولة وانتاج ماجدة الصباحي وأحمد مظهر ومحمد خيري وناهد شريف والفنانة القديرة علية عبدالمنعم التي لعبت دور أم الشهيد «أحمد زكي» في بداية ظهوره كممثل متميز، ونعود هنا على التأكيد بأن السينما لم تنتج فيلما عن شهر رمضان كفريضة دينية إلا في اطار الوعي به كخلفية للأحداث الاجتماعية وتناول ما يحيط به كطقس يختلف مذاقه في مصر عن بقية الدول العربية والاسلامية الاخرى، إذ تجري الاستعدادات لاستقباله قبل حلوله بفترة طويلة حيث تعلق فوانيس الزينة وتضاء الشوارع والحواري وتزدحم الأسواق وتتغير خرائط البرامج التليفزيونية والإذاعية ويجري سباق الفوازير والمسلسلات ويتبدل شكل الحياة تماماً.

وبالإشارة ايضا الى دور السينما في الاحتفاء بالمناسبة الكريمة يحضرنا فيلم «الراجل ده ح يجنني» للمخرج فطين عبدالوهاب وبطولة الراحل فؤاد المهندس وشويكار، فهذا الفيلم بالتحديد ألمح الى ظاهرة الإسراف في الأكل وعبر عنها في «دويتو» حمل نفس العنوان وانتقد شراهة الزوج فؤاد المهندس ونهمه للطعام، وهو ما يمكن اعتباره توعية صحية غير مباشرة أخذت شكلا كوميديا يتناسب مع روح المعالجة التي طرحها المخرج بخفة ظل ورشاقة ابتعدت عن الخطب والمواعظ.

ويأتي الجانب الآخر المتعلق بحالة الصيام وتأثيرها على النجوم أثناء التصوير بمثابة بعد اضافي لقضية السينما الرمضانية لا سيما أن هناك افلاما كثيرة صورت في نهار رمضان وتضاعفت فيها ساعات العمل للحاق بالموسم السينمائي لعيد الفطر من بينها على سبيل المثال أفلام لنادية الجندي وعادل إمام ونور الشريف وليلى علوي وأبرزها «ناجي العلي، كتيبة الإعدام، ومهمة في تل أبيب والنوم في العسل ويا مهلبية يا» ان لم تخني الذاكرة في الاحصاء والترتيب الزمني لانتاج هذه الأفلام، ولا شك ان تصوير الأعمال الدرامية بشكل عام في أيام الصيام يحتاج الي ايقاع منضبط ويحتم على المنتج النظر الى عامل الوقت كرهان حقيقي في الميزانية الكلية وعرض الفيلم بدور السينما، ويمثل ذلك بالقطع تحديا صعبا بالنسبة لشركات الانتاج في حالة توقف التصوير لأي ظرف طارىء مثلما حدث العام الماضي حين لدغ ثعبان الفنان نور الشريف أثناء تصوير أحد الأعمال المهمة التي كان مقررا إذاعتها في رمضان فانقلبت الدنيا رأسا على عقب خوفا على صحته من ناحية والخسائر من ناحية اخرى.

ونستطيع الجزم بأن المستخلص من عرض مجموعة الأفلام القليلة التي نقلت الواقع الرمضاني عبر الشاشة الكبيرة يقودنا الى تفوق الدراما التليفزيونية في هذا الجانب لاعتبارات تتعلق بنوعية الجمهور وطبيعة الفرق بين السينما والتليفزيون كأداتين متباينتين في الحيز والتأثير وشكل الخطاب، ومع ذلك فان السينما برغم محدوديتها في طرح صورة رمضانية متكاملة إلا أنها اجتهدت قدر الامكان في نقل بعض الملامح، خاصة تلك التي ارتبطت ارتباطا شرطيا بالمضمون الدرامي ولا يمكن اعتبار ذلك تقصيرا من السينما ولكن ان جاز لنا أن نلقي باللوم على أحد الأطراف فسيكون الطرف المسؤول بالطبع هو الانتاج كمعادلة تستوجب قياس معدلات المكسب والخسارة.

ضاعت منها فرصة مقابلة نور الشريف على المسرح

داليا البحيري: أفلامي لا تحقق إيرادات ضخمة لكنها لا تخسر

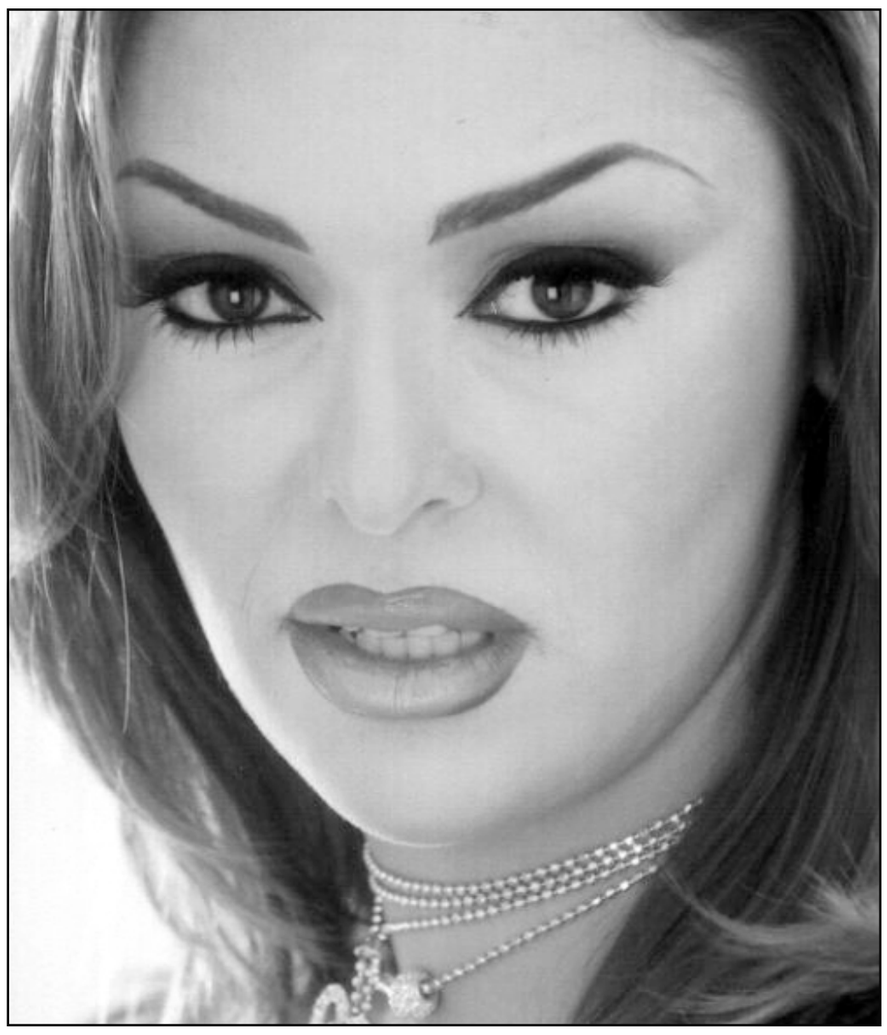

داليا البحيري

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمد عاطف:

اكدت الفنانة داليا البحيري انها اضاعت من يدها فرصة الاشتراك مع الفنان نور الشريف في مسرحيته الأخيرة «الأميرة والصعلوك» التي عرضت على المسرح القومي، ولكن انشغالي في اكثر من فيلم سينمائي أدى الى اعتذاري عن المسرحية وندمت على ذلك، وحلت محلي منال سلامة.

وقالت: مازال الطموح يراودني للوقوف على خشبة المسرح القومي لأنه أحد الأحلام التي أتمنى تحقيقها.

حول فشل فيلميها الأخيرين «الغواص» أمام عامر منيب و«زي الهوا» امام خالد النبوي.

قالت داليا البحيري: التجربتان مهمتان في حياتي، فهما لا تعتمدان على عناصر خفيفة ولم نقدم تهريجا، بل اخترت موضوعين أراهما مهمين جدا ولهما من المشاعر والأحاسيس ما يفوق اعمالا كثيرة أخرى، وإذا ظهرا بشكل لم يجذب أكبر عدد من الجمهور إلا أنهما سيظلان في ذاكرة الفن السابق.

يقال انك لا تختارين الافلام الجماهيرية حتى تكوني في صدارة العمل ولا يشاركك نجم له ثقل فني فيأخذ منك الكاميرا، ترد داليا قائلة: هذا الكلام غير صحيح، لأن أفلامي كلها مليئة بالنجوم ولم تفرد بعمل وضعت فيه ممثلين صغارا، ولكنني اختار الموضوع الجيد ولا أشارك في اختيار نجوم العمل، وأهتم بما أقدمه على الشاشة ولا أسعى الى أعمال سطحية.

هل ضعف ايرادات أفلامك سيقلل من أعمالك على الشاشة الفضية، قالت: المخرجون والمنتجون يعرفون امكانياتي جيدا، ويرشحونني لأفلامهم وأرفض ما لا يعجبني، وبالتالي الأعمال مستمرة وأفضل التعامل مع أشخاص يحبون الفن الحقيقي حتى لو لم نحقق الايرادات الخيالية، لكن بشكل عام أفلامي لا تخسر ماديا، وهناك عناصر كثيرة تحقق المال المطلوب مثل اهتمام الدول العربية وخاصة دول الخليج بأفلامي وهذا يدر دخلا جيدا من تسويق الفيلم.

أين ترشيحات التليفزيون لك بعد غزو نجمات السينما للشاشة الصغيرة، قالت: اعتذرت مؤخرا عن خمسة مسلسلات لم أجد نفسي في أي شخصية بها، وأحب أن أركز في مجال واحد فقط ولا أشتت نفسي.

ألم يدخل أحد قلبك، البعض يقول انك ترفضين اعادة تجربة الزواج، وتعلق داليا البحيري قائلة: قلبي غير مشغول بأحد الآن، لكنني لم أرفض الزواج إذا جاء مع الشخص المناسب.

داليا البحيري اعتذرت مؤخرا عن المشاركة في فيلم كندي لأنها لم يعجبها الدور الذي يقدم المرأة في صورة سيئة على الشاشة لمجرد الحب والعشق بلا أي معنى.

نادر صلاح الدين: ارتفاع البنزين السبب ● هاني جرجس: مجاملات الموزعين أضرت بنا

بعد تحطيم الايرادات للأسوأ: أصحاب الأفلام يردون على أسباب فشلها

القاهرة ـ «القدس العربي»:

أكثر من فيلم سينمائي لاقى فشلا ذريعا في دور العرض والجمهور تنحى عنه جانبا رغم أن نجومه سبق لهم تصدر الايرادات بأفلام اخرى حققت الملايين التي لم يستطيعوا رصدها في أعمالهم الجديدة.

الجمهور والنقاد ألقوا بأسباب الفشل على التأليف والاخراج بشكل أساسي، وأحيانا على جهات الانتاج التي لم تنفق على الأفلام وعلى الدعاية فخرجت أعمالهم من طابور التميز والايرادات المرتفعة.

واجهنا أصحاب هذه الأعمال وردوا على الاتهامات وأوضحوا وجهات نظرهم.

يقول المخرج علي عبدالخالق مخرج فيلم «ظاظا» بطولة هاني رمزي وكمال الشناوي وأميرة فتحي، تأليف طارق عبدالجليل: فوضى التوزيع هي أهم سلبيات هذا الموسم، هناك بعض الأفلام رفض أصحابها تأجيلها من أجل اللحاق بأهم مواسم العام، وحتى يدخل نجومها في الصراع على تورتة الصيف.

ايضا زيادة عدد الأفلام الى 15 فيلما في موسم واحد لم يسقط الفرصة لبعضها كي تأخذ فرصتها كاملة في العرض وتم ايقاف عرضها لمصلحة أفلام معينة.

أضاف عبدالخالق: هذا الموسم أوضح حقيقة مهمة جدا ألا وهي ضرورة تغيير الممثلين الشبان لأدوارهم التي تعود عليها الجمهور فشعروا بالملل ولم يقبلوا عليها كما كان من قبل، والوحيد الذي يفعل ذلك بمهارة النجم عادل إمام، وكذلك اعجبني تغيير كل من أحمد السقا وكريم عبدالعزيز لنوعية أفلامهما فازداد اقبال الناس عليهما، وهنا يظهر ذكاء الممثل في التوقيت المناسب ليغير من جلده كما كنا نرى في نجوم زمان أمثال فريد شوقي ومحسن سرحان وشكري سرحان وكمال الشناوي.

بلال فضل مؤلف أفلام «وش إجرام» و«عودة الندلة» و«واحد من الناس» يقول: اصرار النجوم على عرض أفلامهم في الصيف أضر بالعديد من الأفلام، وهناك من اقتحم خريطة الصيف ولم يحترم الأعمال المحددة سلفا للعرض.

اضاف: خريطة الموسم الصيفي تم تحديدها بناء على فيلم «كتكوت» بطولة محمد سعد والذي تم تأجيله اكثر من مرة، وهذا يدل على أننا لا نرى عقولا تدير صناعة السينما كما يجب أن يكون.

أشار الى ان الموسم أفرز تجارب جيدة مثل فيلم «أوقات فراغ» مما يدل على انحياز الجمهور للعمل الجيد وأنهم شبعوا من الكوميديا.

يقول المؤلف نادر صلاح الدين مؤلف فيلم «جعلتني مجرما» بطولة احمد حلمي وغادة عادل: الارتفاع المفاجيء لأسعار البنزين والسلع الاستهلاكية اثر بشكل كبير على ايرادات الافلام، ثم جاء تنافس النجوم في توقيت واحد أدى الى انهيار الايرادات لأن تكلفة افلامهم مرتفعة جدا وبالتالي كان لابد من تواجد أكبر في دور العرض لتعويض الخسائر وهو ما لم يحدث.

اضاف: بعض المنتجين تعاملوا مع أفلام هذا العام بناء على ايرادات العام الماضي التي احدثت طفرة، ولم تحسب معوقات ومشاكل هذا الموسم فكانت الأزمة الكبيرة في الايرادات.

هاني جرجس منتج فيلم «ظاظا» يقول: حدثت مجاملات بين الموزعين وبعضهم حتى يحافظ كل منهم على أفلامه فجاء ذلك على حساب بعضها.

وتقول المنتجة إسعاد يونس: تأجيل فيلم محمد سعد لأكثر من مرة أفسد الموسم لأن الأفلام تم ترتيبها وتوزيعها بناء عليه لأنه صاحب الايراد الأكبر في السنوات الماضية.

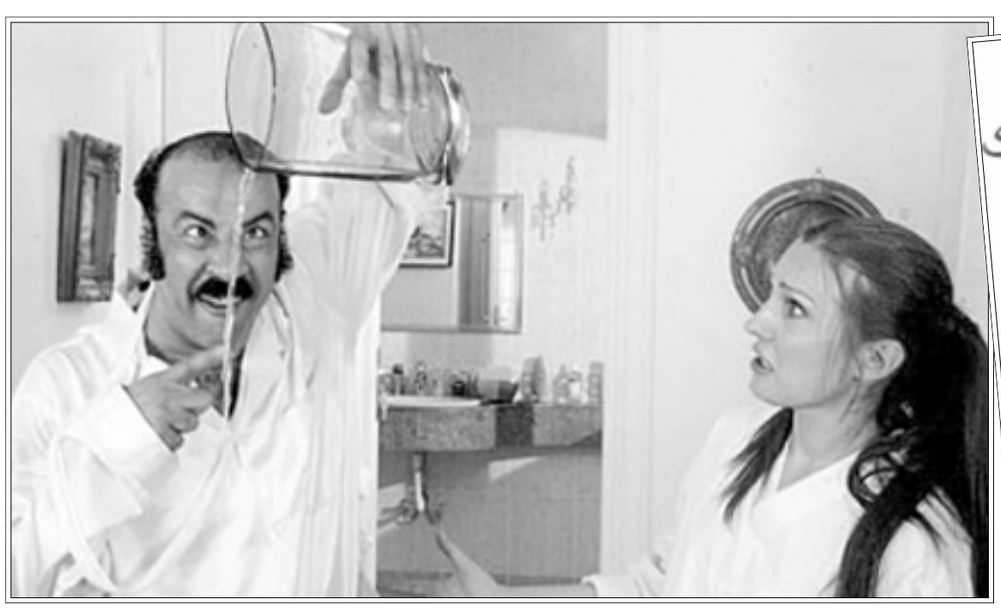

لقطة من فيلم «كتكوت»

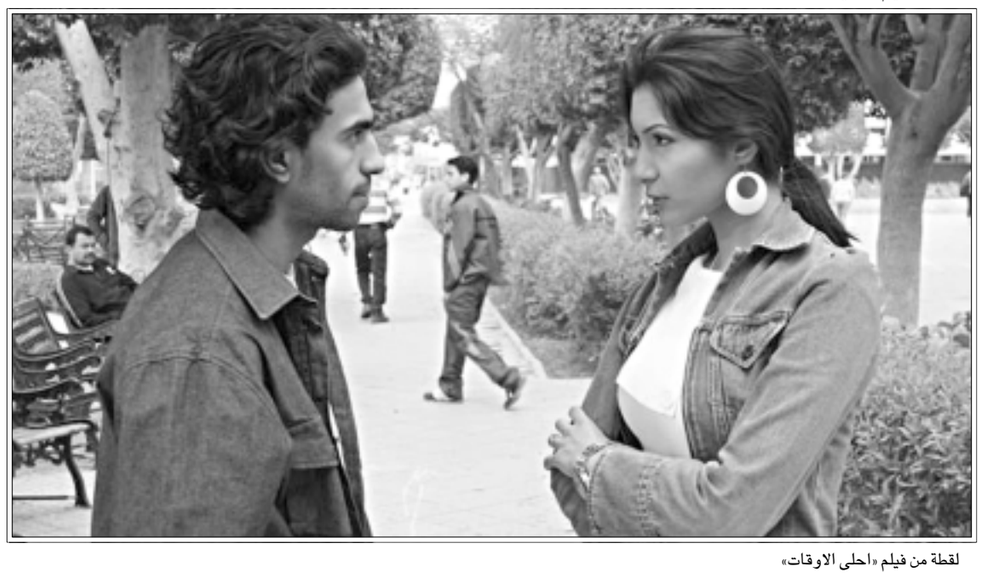

لقطة من فيلم «احلى الاوقات»

فضائيات

اللهجة الحلبية معاقبة في «السورية» وعلي الديك يهاجم التزايد السكاني!

أنور بدر*

■ أعتقد أن القائمين على التلفزيون السوري، وبشكل خاص قنواته الثلاث الفضائية والأرضيتين، لم يعرفوا أن في سورية مطربا عملاقا اسمه صبري مدلل، لأن الصحف السورية ـ وباستثناء خبر وفاته ـ أوردت مقالتين فقط لمواطنيه الحلبيين، رئيس جمعية العاديات محمد قجة والوزير عصام الزعيم، بينما التلفزيون السوري مقيم في دمشق، وقد قصّرت محافظة حلب على أهميتها الثقافية والتاريخية والاقتصادية في إقامة تلفزيون خاص بها، رغم أنها احتفلت هذا العام بكونها عاصمة الثقافة الإسلامية، وكان يمكن توظيف بعض الهدر هنا أو هناك في تحقيق هذه الغاية، إلا أنها لم تخطر بوارد الحلبيين بعد، مكتفين بسمعتهم الجيدة كأهل للطرب وكذلك تحضير المحاشي والكبب، فهذه السمعة تعدّت المحافظات السورية إلى دول الجوار العربي، فلماذا نقيم تلفزيوناً حلبياً؟

وكي لا نمضي في المبالغة نقول أن بعض المثقفين في التلفزيون السوري أو الموظفين يعرفون المطرب الراحل المدلل، وقرأوا خبر وفاته، لكنه لم يعن لهم شيئاً، ليس أيضاً لتقصير منه، بل لأن شيخ المطربين العرب كان له حضوره في عواصم عربية كثيرة وفي مراكز ومدن أوروبية أكثر من حضوره الفني على الأثير السوري، وهذا ليس أيضاً لتقصير منه، فهو كان يقيم أمسية أسبوعية في حلب، ولكن المشكلة أن الإرسال التلفزيوني يستثقل الانتقال إلى محافظة الشمال السوري. وإذا صح ذلك فإننا نتساءل: ألم يسمع هؤلاء القائمون على التلفزيون أن محمد ملص قد أخرج فيلما عن شيخ المطربين العرب بعنوان «حلب... مقامات المسرة»؟ أم أنه لا تتوفر لديهم نسخة من هذا الفيلم، والمخرج مشغول الآن بتصوير فيلم «المهد» في بادية تدمر عن نص وزير الثقافة رياض نعسان آغا؟

ولا أعرف اذا كان التلفزيون السوري يمتلك شريطاً للوحات الفنان سعد يكن حول الفنان المدلل والتي تسابق الأثرياء العرب على اقتنائها، بينما وزارة الثقافة لا تزال مشغولة ـ حتى تاريخه ـ بإعادة ترميم المبنى المستأجر لها، والذي ضاق بأربع مديريات، فتم طردهم إلى المبنى القديم لوزارة التموين؟

إشكالية مدينة حلب أنها أم الطرب، وقدمت نخبة من المع نجوم الغناء العربي، لكنهم بكل بساطة حلبيّون، وليس لديهم تلفزيون في حلب، بل ربما تكون اللهجة الحلبية غير مفهومة في التلفزيون السوري، وإلا كيف نفسر أن مطرباً كبيراً كصباح فخري الذي رأس لفترة ما نقابة الفنانين في سورية، لا يتعدى ظهوره الأثيري نصف ما تشغله أي هاوية في مهرجان الأغنية السورية؟ وماذا عن ميادة حناوي ونوري مهنا وسواهما من الأصوات الجميلة الأخاذة؟ وكي لا تبقى المشكلة حلبية مئة بالمئة نتساءل عن غياب الفنان الكبير صفوان بهلوان لأسباب شخصية عن الشاشة السورية منذ عقدين تقريباً، رغم أنه لم يقصّر في مديح القيادة السياسية حتى أنه غنى ولحن أوبريت «الربان والعاصفة» التي تعتبر تحفة فنية، وهو الآن من أهم نجوم الطرب في القاهرة، لكنه لا يكاد يكون معروفاً لأي مستمع سوري، لأن التلفزيون السوري متمسك بقرار قديم لأحد مدرائه يشطب فيه على هذا الفنان الكبير الذي خرج من جزيرة أرواد وموجات البحر التي تفصلها عن مدينة طرطوس.

ترفيه تعليمي

■ مهرجان الأغنية السورية كان عنواناً للفشل المستمر، رغم صرف أموال طائلة عليه لمدة عشر سنوات، إلا أنه لم ينجح في تقديم أسم واحد مهم في عالم الغناء، بينما بعض المحطات التلفزيونية نجحت في جذب جمهور عربي من المحيط إلى الخليج بالإضافة لدول الاغتراب للمساهمة في تقديم بعض الأسماء الهامة في عالم الأغنية العربية. ومن تابع برنامج سوبر ستار أو سواه يدرك أن من بين أهم المتسابقين الذين وصلوا إلى المراحل النهائية كانت أسماء لمتسابقين ومتسابقات من سورية.

وبغض النظر عن لعبة التصويتات وشركات الاتصال الخلوي التي ساهمت بتتويج اسم دون آخر، إلا أن كوكبة الأسماء اللامعة والتي وصلت إلى المراحل النهائية، يمكن اعتبارها جميعاً أسماء واعدة في عالم الغناء العربي، وبعضهم ما يزال يؤكد حضوره ونجوميته في أكثر من مناسبة، إلا من يحملون الهوية السورية، فلم نعد نسمع بأحد منهم وكأنهم دخلوا في سبات طويل الأمد. والسؤال الآن : أين دور نقابة الفنانين؟ وأين دور التلفزيون السوري في إطلاق هذه الأصوات الجميلة؟ لكننا ـ وبكل أسف ـ لا نطرح علامات الاستفهام بغية الحصول على جواب ، لأنك ما ناديت حياً.

فبالنسبة لنقابة الفنانين وللهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، فإن الأمور بألف خير، ولا داعي لطرح الأسئلة وتعقيد الأمور، خاصة وأن أمور مهرجان الأغنية السورية قد ألقيت ـ بكل تعقيداتها ـ على عاتق التلفزيون السوري، ليقلد تلفزيونات عربية مماثلة في تجاربها لصناعة النجوم. فأجريت الاختبارات الأولية حسب المحافظات السورية، وحسب ألوان الغناء المتعارف عليها في المنطقة، على أن يطل المتسابقون في المراحل الأخيرة عبر الشاشة السورية، متيحين بذلك للمشاهدين فرصة المساهمة بقسط من النقاط عبر الاتصالات أسوة ببرنامج سوبر ستار وسواه، على أن تبقى للجنة التحكيم حصة من النقاط تمن بها على من تشاء من المتسابقين وفق موهبته أو لأسباب أخرى. لكن حتى الآن لا يبدو أن هذا البرنامج قد أثمر عما هو أفضل من موروثه «مهرجان الأغنية»، رغم أن الوزير الجديد قد أصدر تعليماته بتشكيل لجنة عليا لهذا المهرجان ولأخرى تنفيذية، لم يصدر عنهما بعد أي شيء، وما زالت الساحة السورية الغنائية شبه محتكرة للون واحد يطلق عليه اسم «الأغنية الشعبية» يتزعمها علي الديك ومجموعة من الصيصان، وهي أغنية شعبية حقاً بمقاييس الانتشار على الأثير السوري وفي الكراجات والسرافيس وحتى المرابع الليلية، حتى أن إحصاءً أجري بالتعاون مع موقع سيريا ميوزك الالكتروني السوري أفاد أن علي الديك هو المطرب الأكثر انتشاراً في سورية، وطقوا يا عذال ... يا جماعة صبري مدلل أو صفوان بهلوان، فهذه إحصائية الكترونية يا جماعة الخير، ومن لا يصدق عليه القيام بإحصاء يدوي إن شاء، وهذه الكراجات والسرافيس والمرابع الليلية دونه إن شاء.

وقد اشتكى لي أحد العائدين إلى الوطن بعد غيبة صغرى، بأن كل السرافيس التي استخدمها في دمشق أو سواها من المحافظات السورية، كانت تصدح بهذا اللون الشعبي من الغناء، ومن شذ عن القاعدة فهو يضع تسجيلات قرآنية أو دروسا دينية ، مما يعزز السؤال عن أسباب هيمنة ذلك اللون الغنائي دون سواه، وهو سؤال غير بريء في معظم الحالات، إذ يغمز من قناة أو أكثر، لكن المفاجأة التي أدهشت الجميع، وقلبت السحر على الساحر هي ما ورد على موقع العربية نت بأن أغاني علي الديك تعالج مشكلات المجتمع السوري بحكم أنه ينتمي إلى تلك الشرائح الشعبية، بما يذكرنا بالتحليلات الطبقوية التي تحيل الآخرين إلى شرائح برجوازية أو إقطاعية إن وجدت، وبالتالي ـ يضيف موقع العربية نت : أنه يمكن الاعتماد على هذه الشعبية وتوظيفها للوصول إلى الفئات الأكثر شعبية، والتأثير فيهم عن طريق ما يسمى تعليمياً بالترفيه عن طريق الأغنيات، وهكذا جرى تمويل أغنية لعلي الديك الذي بدأ صياحه من قلعة دمشق وانطلق بعدها في ست محافظات أخرى بمهمة شبه رسمية تهدف إلى مكافحة ارتفاع معدلات الولادة، وبالتالي للحد من الخصوبة والتزايد السكاني، تحديداً في هذه البيئات الشعبية:

«عشر ولاد .. وعاشرهم مرضان خُطّي
الفقر الأسود عاصرهم عن جد وبي
بعد اتيابن بتعمر عمرك يا نسور
وبعد الرقعة بتتنقل من خي لخي
بكرة بتفتح المدارس والعتره جي
عليا ومحمود وفارس بدن صدري
كل اللي بيجي فراطة يا أمي آخ
عدن كلن عبعضن ما بيجو ميه»

نعم أنا اعرف أن كثيراً من القراء لن يصدقوا بأننا نمتلك هذا السلاح الشعبي، وأن الديك بدأ يتصدى لمهمة التغيير الاجتماعي في سورية بعدما عجزت كل الأحزاب القومية والماركسية والإسلامية وصولاً إلى الليبرالية الجديدة، كيف لا وهو قد نجح في التصدي لهجوم العولمة والإمبريالية وتقرير ميليس الأول وكل التقارير اللاحقة:

«تقريرك يا ميليس
بيسوا فرنكين وفلس»

وهكذا سنكون قادرين على حل كل الاستعصاءات الخارجية والداخلية، وسنعلم الطبقات الشعبية بالترفيه وليس على طريقة ماوتسي تونغ بالثورة الثقافية المفروضة من فوق.

البحث عن الضمير العربي مستمر

■ مع ذلك كان ولا يزال للأغنية العربية موقفها من السياسة والأحداث، وقفت أيام سيد درويش مع الشعب ضد الاحتلال، ثم وقفت مع الأنظمة في مرحلة النهوض القومي، وبعضها سار بالاتجاه المعاكس حين ثار ضد الأنظمة ومع الأيديولوجيات المعارضة، لكن الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان أفرزت حالة من اليأس جرى التعبير عنها بصيغة البحث عن «الضمير العربي».

والأغنية من تأليف سيد شوقي وتتناول في إطار درامي تاريخ الصراع العربي / الإسرائيلي منذ عام 1948، وحتى الحرب الأخيرة على لبنان، تقول الكلمات:

«ماتت قلوب الناس... ماتت فينا النخوة
يمكن نسينا في يوم أن العرب أخوة
مات الإحساس جوانا...
ولا قلوبنا مليانة
بالحقد والإحساس».

الإعلام السوري علق على انسحاب بعض المطربين اللبنانيين من هذا المشروع مؤكداً على استمرار آخرين، لكنه لم يعلق على انسحاب بعض الفنانين السوريين أمثال سوزان نجم الدين وغيرها مع أن لكل ظروفه وتبريراته. والتي تبدو غير مهمة، لأن البحث عن «الضمير العربي» ما زال جاريا في عواصم العالم أجمع.

* كاتب من سورية

وارضيات